

ثروت باشا

نشهر بان من واجب كل مصرى . أن يقوم بأداء الواجب الأخير للفقيد العظيم عبد الخالق ثروت باشا . وإن هذا الشعور ليزداد في النفس أثره كلما عادت بنا الذاكرة الى تلك الايام التي كنا نفرع فيها فلا نجد غير ثروت مؤثلا في حل المشكلات ومعالجة الكوارث ، كلما عبست لنا الايام وفغرت لنا صروف الزمان قها . وكنا نود أن نكتب في الفقيد كلمة نوفيها فيها بعض حقه الذي طوق به عنق كل مصرى ، فلما ان التقي صاحب المعالي وزير المعارف كلمته في حفلة التأبين اكتفيننا بنشرها . والحق أن ليس وراءها زيادة لمستزيد في بيان المكانة العليا التي يشغلها ثروت باشا في تاريخ مصر الحديث . وهي فضلا عن ذلك تكاد تكون من الاسانيد السياسية الرسمية في هذا العصر .

على أن لا يفوتنا أن نقول بان المدرسة السياسية التي كونها ثروت باشا رحمه الله . هي المدرسة الوحيدة التي ستخلد على مر الايام ويبقى أثرها بالغا في الحياة المصرية . فهي أشبه بالمدرسة التي كونها كبار السياسيين الاوروبيين في كثير من الدول . مدرسة تقوم على فهم الواقع كما هو واقع ومعالجة الامور من طريق السياسة والحجة . لا من طريق العنف والشدة . فهي بحق أول مدرسة قامت في الشرق على أسس ديبلوماسية ثابتة



(صاحب الدولة المرحوم عبد الخالق باشا ثروت)

خطبة صاحب المعالي
 محمد بك لطفى السبر
 وزير المعارف

أصحاب السمو
 أيها السادة

مات ثروت باشا فبكاه الوطن أسفاً على ما فاته من المنافع التي كان ينتظرها
 من ابنه البار بعد أن بلغ مبلغه من الرشد السياسي ، ثم بكاه تقديرًا لخدمته
 الصادقة في منصة القضاء ومناصب الإدارة وميدان السياسة وفي كل مناحي
 النشاط العقلي في البلاد . بكاه بكاء الوالد الرحيم ابنه البار . بكاه الوطن وتقبل عنه
 عزاء الأوطان العظيمة التي كناه كتابها بابي الدستور وبابي الاستقلال
 مصر متى جد الجد تتطلع يمنة ويسرة تتخير من أبنائها رجل الموقف تلقى
 إليه قيادها ، تتفقد أبنائها فلا تجد ذلك الرجل الفذ الذي لا يملأ خلوه غيره .
 فقدته في شبابه السياسي وهي لا تزال تنتظر منه كثيرًا . فقدته فجزعنت
 لمصابه جزع المعارف بجمياله فيما مضى والذي خاب رجاءه منه فيما يستقبل . ولقد
 يموت من أبنائها كثيرون لا يحس موتهم إلا في دورهم . ذلك بأن التفاوت بعيد
 المدى بين أبناء الوطن الواحد أعزهم عليه أنفعهم له . « وخير الناس أنفعهم
 للناس »

بعد أن مات ثروت وعدمنا تلك الشخصية القوية في ذاتها المتشعبة فيما
 حوالها إلى مدى بعيد ، المتعددة آثارها في كل جهات الأعمال العامة في مصر ،
 لم يبق لنا من ثروت إلا آثاره ، والا ذكره التي نحتفل بها اليوم وهو غاية
 ما نستطيع

وانى لأدرى أهل الآخرة كأهل هذه الدنيا تسعدهم نباهة الذكر فترضيهم
 بحيات الأحياء ويغضبون بنشر آيات مجدهم وبقاء ذكراهم . أم هم فيما هم فيه من
 رضي الله لا يشتغلون بشيء مما نحن فيه . ان كانت الأولى فارجو ان نكون قد
 أدينا شيئاً من الاعتراف بالجميل لفتيدنا العظيم . واذا كانت الثانية فان في درس
 هذه الشخصية المصرية الكبرى وثيقة للتاريخ وقدوة حسنة لمن تسمو بهم هممتهم
 من شبابنا أن يكونوا كثروت باشا في نشاطه الجهم ، وخدمته الجليلة الاثرى
 نهضتنا الحاضرة

نبت ثروت باشا من منبت قوى الحيوية ، طيب الاعراق ، نابا الذكر .
 منبت جمع الى قوة الطبائع التركية ذكاء البيئة المصرية ومدينتها . فان أباه
 المرحوم اسماعيل عبد الخالق باشا ابن المرحوم عبد الخالق افندى أحد كبار
 الحكام في أوائل عهد محمد على الكبير هو في الطبقة الثالثة من احفاد رأس
 عائلتهم في مصر . وهو السيد يوسف الكرانى الذى نزع الى مصر من كران ببلاد
 الأناضول . وأما والدته رحمها الله . فهي حفيدة اغا مستحفظان مصر في عهد محمد على
 واد محمد عبد الخالق ثروت في بيت أبيه اسماعيل باشا بدرب الجاميز يوم
 الثلاثاء أول صفر سنة ١٢٩٠ . فلما كان في الثامنة من عمره أدخل مدرسة عابدين
 ثم مدرسة النورمال (المعلمين) ومنها دخل امتحان البكالوريا العام سنة ١٨٨٨
 فكان أول الناجحين في البكالوريا . ثم دخل مدرسة الحقوق . وكانت مدة
 الدراسة فيها خمس سنين . وكان في كل دراسته أول فرقة . وبالنتيجة كان أول
 الناجحين في الليسانس سنة ١٨٩٣

أقف قليلا عند آخر هذا الطور الأول طور التحصيل ، لا سجل شيئاً مما
 أعلم عن الحياة الدراسية لذلك الشاب الذى ظهر نبوغه على وجه التمام في هذا
 الطور بل استتم فيه مقومات شخصيته الممتازة . أو بعبارة أخرى استتم مقومات
 عظمته التى عرفت بها له البلاد

كان ثروت الطالب شاباً حسن الطلعة تعلوه سيما الجدة في غير عبوس مترفعاً في غير كبير . سهل الاخلاق دون فناء في الاغيار . بل كان في جده ومزجه معتدلاً محتفظاً على كل حال بكرامته . نافذ الرأي في بيئته ودوداً من غير الحاح . ومحتفظاً من غير انقباض . محبب العشرة في رفته . وكان له في دار أبيه القسيحة في باب اللوق قلعة استقبال واسعة يدعو اليها زملاءه الوقت غير الوقت يذاكرون أو يسمرون وكان هو مركز دائرتهم . اذ كان في جاذبيته وحلاوة حديثه متفوقاً كما كان في ذكائه واجتهاده . نعم كان ذكياً حاد الذكاء ، موافقاً البديهة ، كثير الاشتغال بحقوق درس الحقوق ، بمناحي الثقافة ياتمسها في الآداب الفرنسية والعربية . واكثر مياله في هذا الباب الى التاريخ على العموم والتراجم على الخصوص . ميل كبير منه حتى صار في السنين الاخيرة نوعاً من الشغف : لقد رأيت في الاعوام العشرة الاخيرة — وكنت أظن شغله فيها قاصراً على تطورات القاتون الدولي والتاريخ السياسي — يبحث أيضاً في أصول قرطاجنة ، وفي تخطيط القاهرة ، وفي مقابلة أقوال المستشرقين في السيرة النبوية . بل في أصول الفن البيزنطي بحث أهل التفتيش لا مطالعة الهواة المتسامين .

لقد صادقت ثروت باشا أربع سنين في طلب الحقوق ، وخمسا وثلاثين سنة في الحياة العملية بعد ذلك . ويقتني أنه منذ خرج من المدرسة الى آخر حياته لم يتغير في شيء من أخلاقه ، بل من ميوله بل من فضائله العقلية الا ما زادت عليها التجربة والدرس المستمر . كل ما في ثروت من الخصال العقلية أو الكيوف الاخلاقية جاءه مبكراً وثبت له حتى التدبر لم تخلقه له مقتضيات المسؤولية في الوظائف التي شغلها ولا الملازمات السياسية التي دخل فيها بل خلقه له طبعه الخصب

تلك شخصية مستقلة بذاتها لم تطبع على شخصية أخرى . بل كان ثروت فيها فسيح وحده ، وفي ظني ان الحرية التي كان يتمتع بها في صغره دخلاً مهماً في حفظ

شخصيته ، من أن تؤثر فيها فتغيرها شخصيات الاغيار ان حب أبيه اياه واعتداده به واطمئنانه على ان ثروت سوف يشغل من قومه مكانا عليا ، كل هذا جعل ذلك الشيخ الصالح لا يضيق على ابنه في شيء من حريته ، ولا يحاول أن يطبعه على مثال يتحمله كما يفعل بعض الآباء . وعلى الخصوص المقتدين بعريض جاههم أو المكثرين في أموالهم . لذلك أخذت ملكات ذلك الشاب تنمو نموها من غير عائق وتقتضي من الطبع الطيب كما لها الخالص . كما أخذت نفسه وهي حرة سيدة تهذب من ميوله ماشاء له طمعه في الفضيلة على ضوء معرفته بالمعنى الحية وتقديره لحدود الواجب . تلك نفس زكية أتمت تهذيبها باكرا واستقلت بشخصيتها قبل الاوان . فكانت لا تمجد بثروت تغيرا حتى فيما لا بد ان يغيره الزمان . بشاشته الشابة ، وابتساماته البينانية . وعلى الخصوص نظراته التي كانت تؤدي كثيرا مما يتورع أن يؤديه باللسان . كل ذلك بقي في ثروت الوزير كما كان في ثروت منذ خرج من الدرس الى الحياة العمالية .

واكثر ظني ان ما حفظ على ثروت روائع وشمائله . وبأجملته كل مقومات شخصيته الفتية أنه نشأ في سعة وعاش وعاش في سعة . فلم يعرف بؤس العيش ولا ذل الحاجة ولم تود برواء شبابه تلك المصائب التي كثيرا ما أصابت العظماء أمثاله فهو في كل شيء لمسيح وحده حتى في عظمته

دخل ثروت في وظائف الحكومة أو بعبارة أدق سكرتيرا في لجنة المراقبة القضائية في وزارة الحفانية . وكان الموظف المصري وقتئذ مأمورا ليس له من الوظيفة الا راتبه ، وعليه أن يعمل مايؤمر به . أما الاخذ بأسباب الابتكار في الاعمال والتفكير في المشاريع فذلك لا يعنيه . وأما المسؤولية عن الاعمال فهي على الأمر اذ كانت الوزارة المصرية مبطنة بوزارة من المستشارين لها الفعل وللأولى الاسم في هذا الجو المعطل للملكات المصرية ان تظهر . والمبعد لشخصية الموظف المصري عن ان تستوفي كلها الخصاص في هذا الجو . دخل ثروت في وزارة الحفانية يحمل

لوظيفته مهرا قوة عقلية، وكفاءة علمية، ورفعة أخلاقية، ويحمل فوق ذلك عتقبا
 هي أخص ماينفع الموظف في عمله، واجدى ما يكون عليه في باب الاستقلال
 بالواجب، واحتمال المسؤولية عنه. تلك العقيدة هي ان الوظيفة ضريبة على الكفاءة
 وان الذى يرى نفسه في حاجة لوظيفة فمن ان لا تكون وظيفته في حاجة اليه . بهذه
 الكفاءة وعلى هذه العقيدة تبوأ ثروت مكان الثقة من السير جون سكوت مستشار
 الحقانية المنفرد بالاثرفيها. فلم يلبث ذلك الشاب النابغة ان صار في وزارة الحقانية
 الكل في الكل. واحتمل مسؤولية هذه الوزارة الضخمة سواء أكان ذلك في التشريع
 أم في مراقبة أحكام المحاكم الابتدائية أم انتقاء القضاة الخ . الخ . يدلك على
 احتمال المسؤولية ما كان له من السلطان، وآية السلطان انك كنت ترى ثروت هو
 وحده المقصود في وزارة الحقانية دون سواه . بقي ثروت بك على ذلك في وزارة
 الحقانية الى ان عين مستشارا في محكمة الاستئناف . ثم مديرا لاسيوط . ثم نائبا
 عاما الى سنة ١٩١٤ اذ اختير وزيرا للحقانية . نقول ان ثروت باشا وهو نائب
 عام . كان ملء كرسيه واملء وسامه . دنت تصرفاته ووقوفه للحق في وجه أهل
 السلطان وقفات متعددة على أنه صاحب الدعوة العمومية . وأنه المسئول عنها
 في البلاد دون سواه . وهولا يفهم المسؤولية الا مقترنة بما يعد لها من السلطان وحرية
 العمل فانتهى الامر به الى ان كان صاحب الكلمة في الدعوة العمومية، صانها عن
 المداخلات السياسية وقصرها على أن يكون الفصل في أمرها للعدل دون السياسة
 فكانت النيابة في أيامه مفرسا صالحا ربي فيه من الشباب رجالا اكفاء كانوا بيده
 من خير نوابغ المصريين. تعددت فيهم صورته المعنوية . كذلك الرئيس متى كان
 قوى الشخصية تستعز في قلبه نار الواجب المقدسة . كان المثال الصالح تتطبع عليه
 شخصيات مساعديه من الموظفين

على هذه المرحلة الثانية من حياته تقف قليلا بقليل . ان واجبات الوظائف
 التي تقلب فيها وعنايته بانقاء الشبان المستعدين وتشجيعهم ليصطحب منهم رجال

الغد . واشتغاله بمراجعة المطولات في الحقوق وغير الحقوق . كل ذلك لم يكن يشبع
قوة نشاطه ولا يستغرق كل جهوده التي صرف كثيرا منها في أعمال الخير
اهتم بالجمعية الخيرية الاسلامية فكان مديرا للتعليم فيها منذ عشرين
عاما الى وفاته

اهتم بالجامعة المصرية فكان أحد أعضاء ادارتها منذ عشرين عاما الى وفاته
اهتم بانشاء النادى الاهلى ونادى الطلبة . وبالجملة لا نعرف عملا دعا اليه
ثروت الا كان من أول المجيبين

كل ميسر لما خلق له . وقد يظهر لكم من ميراث ثروت التي حباها ايها طبعه
والتي جئت على مجمل وصفها آفا ان ثروت كان مخلوقا للسياسة مطبوعا عليها وميسرا
لها . ذكاء متهيب وبديهة مواتية . وضبط لاحساسات النفس واطف لقاء ، وروعة
في الحديث ، وصدق نظر ، ثم علم جهم بما له اتصال بسياسة الامم . وبالجملة ثقافة
سياسية ثم تجربة طويلة المدى كسبها في معالجة الجزئيات ازمان الحكومة المزدوجة
على ذلك جعل من ثروت رجل سياسة بكل معنى الكلمة . فلما دخل الوزارة
في ربيع سنة ١٩١٤ كان المنتظر ان يقوم بما أهل له من خدمة سياسية يفيد بها
وطنه ، كما أفاده في القضاء على ضيق ميدان السياسة التي كانت تجدد ظروف
الاحتلال ، غير ان نشوب الحرب الكبرى بعد قليل من ولاية وزارة رشدي
باشا جعل مصر في وضع غريب ومركز قلق وجعل بناء الآمال المصرية متوقفا
على نتيجة الحرب . ومثل ذلك الوضع من شأنه ان يجرد الرجل السياسى مهما
كانت كفاءته من الظرف المناسب لظهور مقدرته . فأنحصر هم وزارة رشدي باشا
في محاولة توقي الاضرار بقدر المستطاع . ولم يكن مستطاعا في تلك الظروف الا الشئ
القليل . من أجل ذلك لم يظهر من ثروت في السياسة ما يتفق مع استعداد الخلق للسياسة
فلما وضعت الحرب اوزارها وظهرت نتيجتها واخذت آمال المصريين في
الاستقلال صبغة نهائية وتألف الوفد . كان ثروت باشا محبذا لهذه الحركة القومية المباركة

ولما استقالت وزارة رشدي باشا احتجاجا على منع الوفد وبعض الوزراء من السفر . رفض ثروت باشا تأليف وزارة جديدة وأعلن أنه متضامن مع زملائه بالامس في الاستقالة وفي سببها وفي وجهة نظرها . وترتب على هذا الرفض الشريف الحقيق في تلك الظروف بتقدير الوطن — ان سعى الوفد بكامل هيئته وعلى رأسه المغفور له سعد زغلول باشا الى بيت ثروت باشا ليمتدوا اليه التهنئة على اياه الوطني وآيات الشكر على تضامنه مع الوفد في حركته القومية . وكانت كلمات سعد باشا له : ان تضامنه مع الحركة القومية العامة يكسب الوفد قوة والبلاد أملا في النجاح . وتعلمون ان هذه الزيارة قد ترتب عليها ان استحضرت السلطة العسكرية مع رئيس الوفد واعضائه وانذرتهم بانهم بحركاتهم يعرقلون سير الحكومة ولما جاءت لجنة منير الى مصر كان رشدي وعدلى وثروت هم الممثلين الحقيقيين للوفد ولا مال البلاد امام تلك اللجنة . ففاوضوها مفاوضات طويلة أدت الى اقتناع اللجنة بوجهة النظر المصرية . وكلفتهم بمخابرة الوفد في ذلك فارسلوا اليه تقارير عن الحالة . هي من قلم احدهم ثروت باشا

لم تنجح المفاوضات مع لجنة منير . ثم لم تنجح المفاوضات الرسمية في سنة ١٩٢١ وحدثت بريطانيا العظمى مركزها في مصر بالذاكرة التفسيرية التي أعقبت قطع المفاوضات . وكان جواب المصريين ان اعلنوا الاضراب عن تأليف الوزارة والاشتراك مع الانجليز في حكم البلاد واشتد الانكسار في تنفيذ سياستهم واتسعت هوة الخلاف بين الفريقين . وفيما بين ذلك الت الظروف عبء الموقف على عاتق ثروت باشا . فكان مركزه في غاية الخرج . هنا ظهرت مواهبه السياسية باجلى مظهر . استجمع اقدامه وقصد الى ان يحول هذا الطرف السيء الى مصالحة بلاده واخذ يفاوض اللورد اللنبي حتى اقنعه بانه لا يمتد الموقف الا ارضاء المصريين وان لا مناص من حل موقت تلجئ به الحماية على مصر ، ويعترف لها بالاستقلال حتى يجيء الوقت المناسب لاتفاق الطرفين على مبلغ الضمانات التي تريدها

بريطانيا العظمى . وما زال باللو رد النبي حتى شاطره وجهة النظر هذه وهو رجل
عظيم اقتنع بعمل لدى دولته ما انتقد نخير الامتين

أجل . هنا ظهرت عبقرية ثروت باشا السياسية وهنا امكن القول انه رجل
سياسة حقا لا يقل عن عظماء السياسة في دلو الهمة ولا في لطف المداخلة . وحسبان
وسائل الخروج من المازق . والنتيجة ان ثروت استطاع بالواسطة ان يحمل
الحكومة البريطانية على أن تصدر من جانبها تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٨
القاضي بالغاء الحماية والاعتراف باستقلال مصر وسيادتها وحفظ النقط الاربع
لمفوضات حرة من الجانبين من غير أن يقيد البلاد بشيء . على ذلك قبل ثروت
باشا تاليف الوزارة واعلان حضرة صاحب الجلالة الملك للعالم استقلال مصر .
واخذ ثروت باشا في تنفيذ مقتضيات الاستقلال داخل حدوده . فمضى على عهد
الحكومة المردوجة واستبدلها بحكومة مصرية . واستقل بحاس الوزراء بالمسئولية
عن الحكم ووضع مشروع الدستور بواسطة لجنة اختارها من رجال القانون والاعيان
وضعا تاما لا ينقصه الا تصديق جلالة الملك . ثم استقال . ومنذ اعلان الاستقلال
اعلان ثروت ان الحكومة في انتظار ترتيب الحياة النيابية معتزمة ان تتمشى في
كل اعمالها على المبادئ الدستورية . وسارت حكومته بالفعل على تلك المبادئ
الى ان استقال بعد ان خطا بمصر هذه الخطوة الواسعة في سبيل العظمة والاستقلال

حق انه انما استغل حركة مصر للاستقلال وغضبتهها من مذكرة كرزون
واستثمر جهود من تقدمه من رجال مصر . ولكن الرجل السياسي لا يخلق من
لا شيء شيئا . انما هو يستثمر المواقف والظروف ليحقق بها اطاعة القومية . وكذلك
فعل ثروت الذي أفاد حجة من أباء الامة فاخذ ولم يعط . وقيد ولم يمتد . وكذلك
يفعل رجل السياسة

لم يقنع ثروت باشا بهذه النتيجة الباهرة . بل اضمح ان لا يستريح قبل أن
يكمل استقلال بلاده على يديه . وقد تهيأت له الظروف في وزارته الثانية سنة

١٩٢٧ في صيف ذلك العام . سافر مع حضرة صاحب الجلالة الى لندره . فبعد بضع
اتفاق سابق بينه وبين المغفور له سعد زغلول باشا ان يذهب هذه الفرصة ليتصل
مباشرة برجال السياسة من الانجليز . على الخصوص وزراء الحكومة ليزيل باديء
ذي بدء ماعلق باذهانهم من الاثر الذي خلفته حادثة شهر يونيه . بشأن الجيش
فاستغل كذلك الحفاوة التي قوبل بها جلالة الملك . فاجتمع بالسير أوسين شميرلين
وزير الخارجية البريطانية . وبعد ان أعرب له عن الاثر الجميل الذي تركته تلك
الحفاوة الباهرة في نفوس الشعب المصري أخذ يشرح له تفاصيل حادث شهر
يونيه . وبراءة الشعور المصري من كل ما يكدر صفاء العلاقات بين الامتين .
وبعد ذلك دخل واياه في أمر محادثات بشأن الاتفاق بين بريطانيا العظمى
ومصر استغرقت وقتا غير قصير . ثم استمرت المفاوضات في هذا الموضوع في
القاهرة . وكان ثروت باشا قد أخذ على نفسه باديء ذي بدء بان تظل هذه المحادثات
مكتومة حتى يصل بها الى نتيجة مرضية . فان وصل الى هذه النتيجة أفضى
بالتفاصيل الى زملائه والى زعماء البرلمان . وعندئذ يكن الدخول في مفاوضات
رسمية ، والا أهمل أمر هذه المفاوضات اذا كان مصيرها الرفض . توقيا للاثر السيء
الذي يترتب على قطع مفاوضات رسمية بين أمتين يجب أن يسود بينهما حسن
الفهم ويبني علاقتهما على الصداقة .

أصاب ثروت باشا ولكن الظروف الخارجة عن ارادته لم تمكنه من تحقيق ما
أخذ نفسه به وأودت بجهوده قبل ان يصل بها الى الغاية . فاستقال من الوزارة
خوفورا لكرامة مشهورا له على رغم عدم النجاح بصحة النظر وعلاج المسائل
السياسية بما تقتضيه من الحزم والدهاء جميعا . وفي الحق انه كان رجلا عظيما
خرج ثروت باشا من هذه المعركة منهوك القوة اراد ان يجددها بالراحة
وتغيير الهواء الى حين . ثم يعود ليعمل في السياسة مع اصدقائه الذين قد تضامن
معهم قبل سفره على الاستمرار في تهيئة الوسائل الى استكمال الاستقلال

في صدد الاماع بمذهب ثروت باشا السياسي . أوجب على للحق والتاريخ أن اصرح
ان ثروت كان ممالئاً للحكومة الحاضرة متضامناً معها في الملاحظة التي جرت عليها
في اجهالها وفي تفصيلها جميعاً . ولم يسافروا الا بعد ان اطمأن على ان الامور تجري
في مجراها الطبيعي

سافر الى أوروبا بعد ان وغدنا الا تطول غيبته . ولا نعلم ما يكنه القضاء
فكانت الغيبة الابدية . انى ثروت ايها الصديق الكريم والوطني الكبير
تحية وسلاماً من اصدقاء ما كان اسعدهم بك حياً . فاصبرخوا وما اشقاهم بك ميتاً
تحية وسلاماً من وطن كنت لمجده بناء عرفت له واجبه فمرف لك حقك .
نصرته فحباك عطفه حياً . وحزن عليك ميتاً . عظم الله أجره فيك .

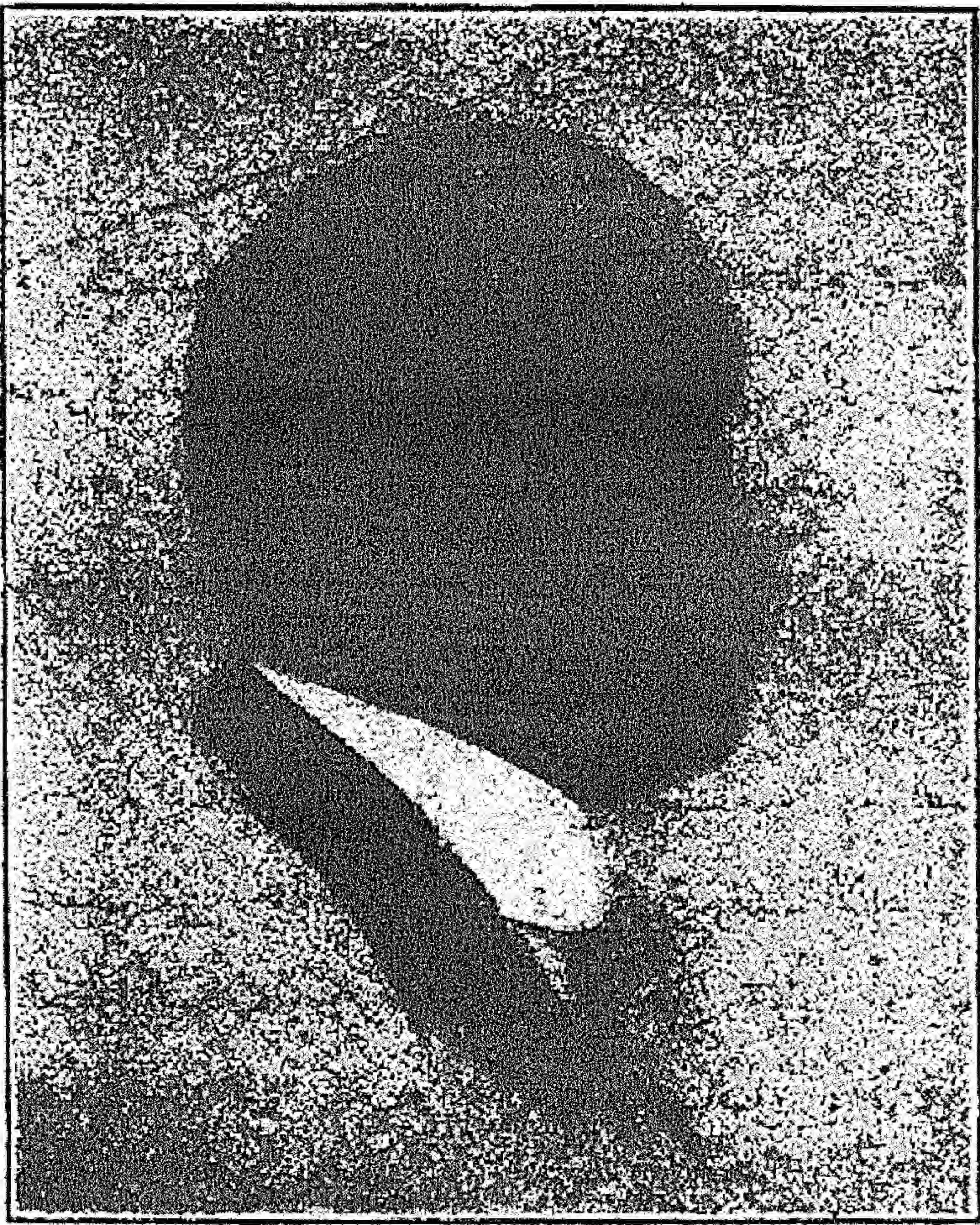
قصيدة

سوفى بك

يموت في الغاب أو في غيره الأسد كل البلاد وساد حين تتد
قد غيب الغرب شمساً لاسقام بها كانت على جنبات الشرق تتقدم
حدا بها الأجل المحتوم فاعتربت ان النفوس الى آجالها تفد
كل اغتراب متاع في الحياة سوى يوم يفارق فيه المهجة الجسد

* * *

نعي الغمام الى الوادي وساكنه برق تمايل منه السهل والجبل
برق الفجیعة لما ثار ثائره كادت كأمس له الاحزاب تتحد
قلم الرجال حيارى منصتين له حتى اذا هد من آمالهم قعدوا
عملا الصعيد نهار كله شجن وجلال الريف ليلى كله سهد
لم يبق للضاحكين الموت ما وجدوا ولم يرد على الباكين ما فقدوا



(أمير الشعراء شوقي بك)

وراء ريب الليالى أو فجاعتها دمع لكل شامت ضاحك رصد

باتت على الفلك في التابوت جوهرة
يقساخر النيل أصداف الخليج بها
ان الجواهر أثنائها وأكرمها
حتى اذا باغ الفلك المدى انحدرت
تلك البقية من سيف الحمى كسر
قد ضمها فركا نعث يطاق به
مشت على جانبته مصر تنسده

تسكاد بالليل في ظل البلى تقد
وما يدب الى البحرين أو يرد
مايقذف المهد لامية ذق الزبد
كأنها في الأكف الصارم الفرد
على السرير ومن ربح الحمى قصد
مقدم كالواء الحق منفرد
كما تدهلت الشكلى وتفتقد

موقد يموت كثير لا تحسبهم
تسكل البلاد له عقل ، ونفـاجتها
كأنهم من هوان الخطب ما وجدوا
هي النجابة في الاولاد لا العدد

مكامل الهام بالتصريح ليس له
وصاحب الفضل في الاعناق ليس له
عود من الهام يحويه ولا تضد
من الصنائع أو أعناقهم سند
وحل فيه الهدى والرفق والرشد
جند السلام ولا قواده المجد
ان المدافع لم يحاق لصحبتهما

*

يباني الصرح لم يشغله متمدح
أصم عن غضب من يحوله ورضى
عن البناء ، ولم يصرفه منتقد
في ثورة تلد الابطال أو تئد
يدنو على مثلها أو يبعد الأمد
من الفيصل ، ما في دينه أود
ومل طول النصال الذئب والنقد
حتى تفتحت الابواب والسدد
إن السياسة فيها الصيد والطرود
يمشي الى الصيد تحت العاصف الاسد
يداك للقوم ماذموا وما حمدوا
تبني من الصخر الآساس والعمد
وفيه سمى من الآباء مطرد
على أسننها الاحسان والسدد
لولا المنية ماملوا ولا رقدوا
حتى تزعزع من أسبابه التود
حماية الله ، فاستدري بها البلد
يباني الصرح لم يشغله متمدح
أصم عن غضب من يحوله ورضى
تصريحك الخطوة الكبرى ، ومرحلة
الحق والقوة ارتدا الى حكم
لولا سفارتك المهدية اختصما
مازلت تطرق باب الصلح بينهما
وجدتها فرصة تلقى الحبال لها
طلبتها عند هوج الحادثات كما
لما وجدت معدات البناء ، بنت
بنيت صرحك من جهد البلاد كما
فيه ضحايا من الانشاء قيمة
وفي أواسيه أقلام مجاهدة
وفيه ألوية عز الجهاد بهم
رميت في وتد الذل القديم به
حطوى حمايته المحتل وانبطت

نم غير باك على ماشدت من كرم
 جاثرة الوطن الغالى ؛ كفى عظة
 لم يطغك الحكيم فى شئ مظاهره
 تغدو على الله والتاريخ فى ثقة
 نشأت فى جبهة الدنيا وفى فهمها
 لكل يوم غد يمضى بروغته
 رمتك فى قنوات القلب فانصدعت
 لما أناخت على تأمورك انفجرت
 ما كل قلب غدا أوراخ فى دمه
 ولم تطاولك خوفاً أن يناضلها
 فهل رنى الموت للبر الذبيح وهان
 هيبات ! لو وجدت للموت عاطفة
 مشت تذود المنايا عن وديعتها
 لو يدفع الموت ردت عنك عاديه



« أبا عزيز » : سلام الله ، لا رسل
 وتفجئة من قوافى الشعر كنت لها
 أرساتها وبعثت الدمع يكنفها
 عطفت فيك الى الماضى وراجعتنى
 صاف على الدهر لم تقفر خليته
 حتى لحنتك مرموق الهلال على
 والشعر دمع ووجدان وعاطفة

اليك تحمل تسليعى ولا برد
 فى مجلس الراح واثريحان تحتشد
 كما تحدر حول السوسن البرد
 ود من الصغر المعسول منعقد
 ولا تغير فى أبيانها الشهد
 حدائة تعد الاوطان ماتعد
 ياليت شعرى . هل قلت الذى أجده ؟



(شاعر النيل حافظ بك إبراهيم)

قصيدة شاعر النيل

في تأبين فقير الوطن تروى بلأنا

فنشر هذه قصيدة شاعر النيل . وهي أدق وصف وأبدع للفقيد العظيم في حياته السياسية .

لعب البلي بملاعب الألباب ومحا بشاشة ذلك الخلاب
وطوى الردى (عمر والكنانة) غافلا ورمى شهاب دهائه بشهاب

من كان يدري يوم سافر أنه
 حزنن عليه شتولنا وقلوبنا
 القلب ينسيه الغياب أليفه
 بالامس مات أجلنا وأعزنا
 واليوم قد غال الحمام أسدنا
 سفر من الدنيا بغير إياب
 وبكت ، وحزن العقل شر مصاب
 والعقل لا ينسيه طول غيابه
 جأها وأبقانا على الأحقاب
 رأيا فطاح بحكمة وصواب

رأس يدبر في الحفاء كأنه
 حتى إذا أرضى النهن وتناسقت
 يمشي على سنن الحجا متمهلا
 تتناثر الاقوال عن جنباته
 لا المدح يغريه ولا يلوى به
 حلو التواضع لم يخالط نفسه
 حلو الاناة اذا يسوس ، وعند
 حلو السكوت ككوكب متألق
 يهدي السبيل السالكيه ولم يرد
 قد يدبر من وراء حجاب
 آيته راع انورى بعجاب
 بين العداة الكثر والاحباب
 من شأني ومناصر ومحابي
 ، عن تجده المرسوم ، وقع سباب
 زهو المسدل بحاط بالاعجاب
 أن التعجل آفة الاقطاب
 والليل ساج أسود الجلاب
 شكراً ولم يعمل لنيل ثواب

ممكن من نفسه لم يعرف
 يزن الامور كأنما هو صيرف
 فيحل غامضها بشاقب ذهنه
 ويقيس شقتها بمقياس النهن
 متبسم وعلى معارف وجهه
 شيم ترد الناقمين لوده
 يرضى المرتل في السكنيسة صنعه
 قلق الضعيف وحيرة المرتاب
 يزن النضار بدقة وحساب
 حل الطيب عناصر الاعشاب
 فترى صحيح قياس الاسطربلاب
 آيات مايلقى من الاوصاب
 وشماثل تستل حقد الثاب
 كيسا ويرضى بساكن الحرب

يرتاح للمعروف لا مترجحا
 يروى الصديق من الوفاء ولم يكن
 لم يبد فينا جازعا أو غاضبا
 وبكاؤه في يوم سعد زادني
 قامت صماب في مسالك سعيه
 فظهيره عند النضال وركنه
 فيه ولا هو في الجميل مرابي
 بالخاسد النعمى ولا المغتاب
 لهم الا غضبية النواب
 علما بأن اليوم يوم تباب
 من بعد سعد دعمت بصعاب
 أمسى حديث جنادل وتراب

لله سر في بناء ثروت
 انى سألت العارفين فلم أفز
 هو مستقيم ملتو ، هو لين
 هو حول ، هو قلب ، هو واضح
 هو ذلك الطلسم من أعى الحجا
 أو ماتراه مفاوضا كيف انبرى
 لم يأت من باب لصيد دهائه
 ويظل يرقيه ويغزو كبره
 ويروضه حتى يرى أسطوله
 ويرى صفوفا من ذكاء صففت
 سبحانه باني هذه الاعصاب
 منهم على عرفاتهم بجواب
 صلب ، هو الواعى ، هو المتغابى
 هو غامض ، هو قاطع ، هو نابى
 حلا ومات ولم تفز بطلاب
 لكبيرهم بذكائه الثواب
 الا نجبا بدهائه من باب
 بليونة ولباقة وخلاب
 خشبا تناسر فوق ظهر عباب
 دون الحمى تعبي أسود الغاب

وافى باقصى ماينال مفاوض
 واستل من اشدق آساد الشرى
 خلعا خبا ضوء الهلال لطيه
 فاخضر فوق ربوع مضر عوده
 ان فاتته بعض الامانى فاذكروا
 يسعى بغير كتاب وحراب
 علما عضضن عليه بالانياب
 جم التوجع دامن الاهداب
 فى منبت خصب ورحب جناب
 انا امام محنكبن صلاب

قد جاز تيهاء الامور ولم يكن
رجل يفاوض وحده عن أمة
رفع الحماية بعد ما بسطت على
واتى لمصر واهلها بسيادة
في وعمرها وكثورها بالسكابي
ان لم يفز فوزا فليس بهاب
أنحاء مصر وأيدت بكتاب
مرفوعة الاعلام والاطناب

غفرا فلتت ببالغ فيك المدى
كم موقف لك في الجهاد مسجل
في خطب مصر (لبطرس) أخذتها
الفت بين العنصرين وقصبتها
خالفت فيك الجازعين فلم انح
الروح في الجلى اجتهاد مقصر
فانا الذى يبكي بشعر خالد
قد كنت تحسن بي وتوقب جولتى
ومش ان لاقيتنى وتخصنى
فاذهب كما ذهب الربيع بنوره
أتى غرزت الى مذك ركابي
بشهادة الاعداء والاصحاب
مشبوبة كانت على الابواب
رتقا وكنت موفق الاسباب
حزنا عليك وأنت من اترابى
الذى دعاء الصبر غدير مجاب
يبقى على الاجيال للانقلاب
فى حلبة الشعراء والكتاب
بالبشر فى ناديك والترحاب
تأسى الرياض عليه غب ذهاب

حافظ ابراهيم

